الحَقِيقَةُ العَارِيَة

الحقيقة العارية
الكاتبة: حنان السيد عبدالعاطي
إخراج فني: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 25040 / 2019
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 844 - 079 - 9

دار الزيات للنشر والتوزيع **:Facebook Page**
E_mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات
المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم
01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

الحقيقة العارية

قصص قصيرة

الكاتبة

حنان السيد

دار الزيات للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

مقدمة..

لم أكتب يومًا من أجل الشهرة، رغم أنها هي الطريق الأسهل لو تعلمون.

أكتب لأنني ما وجدت أصدق من القلم حين ينزف على الأوراق البيضاء كَم المشاعر، فيمتزج الحبر بالأوراق مُعلنًا الحداد على ما تبقى من صمت بداخلنا، فيُحدث ضجيجًا على هيئة حروف، أسرد بها حكايات ليست من نسج خيالي، بل هي من وحي واقعنا المرير.

إن كنت ممن يحكم على الأمور من خلف شاشة التلفاز، فنصيحة لا تقتني هذه المجموعة القصصية.

وإن كنت ترى الحقائق بعين الواقع؛ فمرحبًا بك في الحقيقة العارية.

كل ما أود قوله لك عزيزي القارئ، إن اقتنيت هذا الكتاب فاعلم أنه أول عمل منفرد لي، رجاءً لا تكن في حُكمك عليَّ قاسيًا حد الإحباط، ولا ليِّنًا حد المجاملة، أريد نقدًا بناءً يرتقي بي نحو الأفضل..

حنان السيد

❋ ❋ ❋

الإهداء

إلى جسد رحل عن عالمي، وبقِيَ طيفه يُحاوطني في كل اتجاه، إليكَ أهدي حروفي وأفتخر كوني ابنة اسمُك يلتصق بجانب اسمها مباشرةً لتظل دائمًا عالقًا بأذهان الجميع إلى الأبد.

"أبي"

إلى التي وهبتني عمرًا كاملًا، واختارت لي اسمًا عظيمًا، وجعلتني ملكة على عرش البيت، إلى العين التي ما زالت لا تُبصر فِيَّ إلا كل جميل رغم عيوبي الجمَّة، إلى العظيمة..

"أمي"

إلى نبض فؤادي، وتوأم روحي، وصديقتي الصدوقة، ورفيقة دربي، وأعظم هبة منحها المولى لي..

"حنين"

إلى روح تُرافقني وتحتضنُني كلما يئست من الحياة وجلست أبكي على أطلال الماضي، فتدفعني بكل قوة نحو المستقبل.

ستظل سرًّا عظيمًا لا يعلمه أحد، ستبقى بين السطور والأحرف والكلمات، ستبقى حيًّا بداخلي مهما غير القدر لي الحياة.

إلى الثروة العظيمة التي تركها لي أبي، ومنحها الله لي، إلى من جعلوني ملجأهم الوحيد رغم أنني أصغرهم سنًّا..

"إخوتي"

إلى أخٍ لم تلده أمي وأنجبته أمي الثانية، شهيد الواجب

"محمد زكريا أبو غزالة"

إلى أهلي جميعًا، وأساتذتي في مختلف المراحل، وصديقاتي جميعهن بلا استثناء.

إلى كل طفل أهداني وردة ذات يوم، أو كلمة مكونة من أربعة أحرف خطها لي بأنامله الصغيرة من تلك الحروف التي علمته إياها وقال لي فيها أحبك.

إلى الذين خذلوني وتركوني بمنتصف الطريق، تاركين يدي في أقسى محنة مررت بها عمدًا، ظنًّا منهم أنني سأقف أبكي على الأطلال، فما كانت ظنونهم إلى أضغاث أحلام، وما كانت حجارتهم التي ألقوا بها في طريقي كي أتعثر إلا جسرًا عبرت به نحو النجاح.

إلى كل من مر بحياتي ولو محض صدفة، فترك أثرًا عظيمًا..

وكل من ألهمني فكرة وأهداني نصيحة، أو قوَّمني بنقده البنَّاء فغيَّر مسار قلمي وفكري للأفضل..

❋ ❋ ❋

إهداء خاص إلى الإسكندرية

وشوارعها وبحرها وشواطئه

إلى ذي القلب الأخضر

وذاتِ القلب الأزرق

❄ ❄ ❄

الحقيقة العارية

منذ الوهلة الأولى من فراقِنا لن أبكي على أطلالِ حِكايتنا فالبكاء ينقُص من كوني رجلًا، علمتني أمي هذا منذ الصِغر، ونعتني أبي بأوصاف النساء إن بكيت لأي سبب أيًّا كان، وكأن البكاء من شيم النساء فقط، حتى طبيب الأسنان حين كنت أذهب إليه وأنا في الخامسة من عمري، وأتألم حد البكاء، كان يقول لي أنت رجل والرجال لا يبكون.

ظللتُ أتحمَّل الألم بصمتٍ تام، حتى تراكمت الدموع في عيني لسنوات طِوال خشية من أن أذرفها فيُقال أني لستُ برجُل! والآن عندما انشطر قلبي نصفين عند فراقنا، ما زلت أخشى البكاء أمامهم، فيقول الجميع الجملة ذاتها

"الرجال لا يبكون"

حسنًا، لستُ بضعيف كي أبكي الآن، الأمر لن يستغرق معي مثقال ليلة، ليلة واحدة وسأنزعكِ من ذاكرتي للأبد.

أنا أتجول هنا وهناك، لا يبدو عليَّ شيء سوى القسوة والصلابة، ابتسامتي تكاد ألا تنطفئ أبدًا، أمارس طقوس حياتي كاملة، وكأن شيئًا لم يكن، هكذا أبدو أمام الجميع.

أما الحقيقة العارية لكِ وحدكِ أنتِ فقط.

إنني أتجنب العبث بذاكرتي خشية أن ألمح اسمكِ المحفور في قلبي، أو صورتكِ الراسخة في مُخيلتي أهرب من كل الأماكن التي جمعتنا ذات يوم، أحذف كل الرسائل الصادرة مني إليكِ، والواردة منكِ إليَّ خشية أن يقتُلني قديم حديثنا، أهدم كُـل تلك الأحلام التي طالما حلمنا بها سويًّا واختلسها منا واقعنا المؤلم، أصبحت الآن أعيش اللامبالاة بصورتها الباردة، لم أعد أهتم بموهبتي التي كنت أنمِّيها لأجلكِ، كنت أمارس الكتابة، انقطعتُ عنها واعتزلت الأوراق التي أسطِّر فيها روايتي الأولى التي لم تكتمل بعد.

حتى الروايات التي اقتنيتها لنقرأها سويًّا أصبحت مركونة على رف مكتبتي الممتلئة بالغبار، فقدت شغفي بالقراءة أيضًا، ولم تعد الكُتب تُغريني كالسابق.

عُدت للتدخين بعد انقطاعي عنه لفترة تجاوزت الثلاث سنوات وأكثر، بعدما وعدتكِ ألَّا أعود إليه ما دُمتِ معي، كنت أخشى عليكِ من دخان سيجارتي أن يُصيب رئتيكِ، في الحقيقة كنت لا أدمن السيجارة، بل كنت أدمِن وجودكِ بجواري، كان هذا كافيًا جدًّا.

كنتِ الوحيدة وستظلين التي تمرين من خلالي!

ساءت حالتي الصحية كثيرًا وتزداد سوءًا يومًا تلو الآخر، أصبحت نفسيًّا لا أصلح لمخاطبة الآخرين أو مجالستهم، لقد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، أحتضن كل ليلة ميداليتي الفضية المحفور بداخلها

"لا إله إلا الله"

التي أهديتِني إياها حين حصولي على لقب الطالب المثالي بالجامعة.

وأخيرًا مزَّقتُ شهادتي الجامعية بعدما أنهكتني المذاكرة على مدار ستة عشر عامًا متتالية، بعدما أعطوني ورقة تُدعى شهادة تخرج مختومة بختم النسر، عليها تقديري العام..

جيد جدًّا!

قدَّمتها في العديد من الوظائف لكن لم يحالفني الحظ عمدًا، لأن هناك شاب قد نال فرصة العمل بدلًا مني، تقديره مقبول وأوارقه الرسمية لم تكتمل، لكنه ابن رجل مهم في الدولة، وآخر من أبناء العاملين بها.

فكرت جديًّا في استكمال الماجستير وبدأت فيه فعليًّا، اخترت موضوعًا لم يسبق لأحد الكتابة فيه، وعلَّكِ تعلمين أن العلماء ليس لهم

من الأمر شيء هنا ببلدنا مع وجود عُصبة من المحبطين ألقوا بكل فكرة دارت بذهني في موقدهم الخاص، حتى أصبحت رمادًا.

تساءلت ماذا أفعل بشهادتي؟

هي لم تنصفني على الواقع!

ولأجلكِ غاليتي لن أستسلم

قُمت بعمل مشروع على قدر استطاعتي، أتربح منه. كنت أبيع الكتب على أرصفة الطرقات، وقلَّ من يقتني كتابًا في زمن الـ **PDF**، مما أثار غضبي وغيرتي على القراءة، فقمت بجمع الكتب ووضعتهم في ركن بمكتبتي المليئة بالكتب والروايات..

واتجهت للعمل بمصنع ببلدتي، وبعد مصاريف الذهاب والعودة يوميًّا باقي الراتب لا يكفي قوت يومي!

خسرت كل شيء، خسرت حياتي بفقدانكِ، اليوم الذي أرغموكِ على الزواج من شخص آخر لكونه ثريًّا، حكموا عليَّ بالموت وأنا على قيد الحياة، وأحدثوا لي جُرحًا لم يُشفَ للآن، حتى بعد مرور أعوام على زواجكِ بآخر لن أستطع النسيان "قال لي جدي ذات مساء، الرجل

الحقيقي إن أحبَّ بصدق تُرعبه فكرة الفراق، ولن ينسى كما هو سائد في عقول البعض".

أنتِ رُبما أخذتكِ الحياة والمسؤوليات، علَّ غريزة الأمومة تفوق حبَّكِ للأقربين جميعًا.

أنا كنت في نظرهم أصلح للحب فقط ولا أصلح للزواج؛ لأني لا أملك مثقال ذرة مما يمتلكه الشخص الآخر، حلمت على مدار سنين طويلة، وهو قام بتحقيق حُلمي في أقل من ثلاثين يومًا برصيد يمتلكه في أحد البنوك.

أنا الآن أبحث جاهدًا عن أي فرصة سفر أو هجرة غير شرعية لأي بلد، إن مِت على متنِ إحدى السُفن، فاعلمي أني سأحيا حياة أبدية خالية من الألم الذي يعتريني كل ليلة دونكِ، وإن نجوت وألقى بي الموج على شاطئ أي بلد غربي، كهولندا مثلًا سأعمل في مقهى، أقدم المشروبات الدافئة في ليالي الشتاء الباردة للمتحابين تخليدًا لذكراكِ بقلبي، أو أعمل بمطعم لا يهُم! سأمارس غسل الأطباق جيدًا، أو

أنظف زُجاج السيارات للأثرياء، لا بأس، كلها مِهن سامية لدى الدول الغير شرق أوسطية، أما هُنا أصحاب الشهادات ورسائل الماجستير، لايصلحون للحب أو الاستقرار أو الزواج؛ بل مُحرَّم عليهم الحياة ذاتها، الشهادة في بلدتنا مجرد ورقة، أما العائلات يحتاجون لأوراق نقدية لا حصر لها، ويا للسعادة لو كانت العملة المدفوعة بالدولار، لشراء شبكة قيِّمة كابنة خالتكِ، أو شقة في مكان مرموق كابنة عمكِ، تلك المظاهر الكاذبة التي لا تشتري السعادة.

أما الالتزام الديني، أو الأخلاق الرفيعة، لم تعد تجذب الكثيرين، ولا تصلح لبناء حياة مستقرة ولا أحلام بريئة.

الحياه لم تنصفني، لكن، بعد مرور أعوام سأكون أوشكت على الثلاثين ربيعًا أو يزيدون، سأعود مجددًا لأرض الوطن التي لم تسعني، ولتفرض عليَّ العادات ذاتها الزواج، فقط لتكوين أسرة وإنشاء بيت، كما ستقول لي أمي وخالتي وجارتنا، ونساء العائلة جميعهن:

"الزواج سُنَّة الحياة"

والحياة أيضًا لم تنصف أخرى سأتزوج بها مستقبلًا، لأنه حتمًا عند عودتي من خارج البلاد ومعي الحقائب والأموال، سأتقدم لأي فتاة وسيغري أهلها المال، ستتزوجني بالإكراه تاركة قلبًا آخر كقلبي ينزف، قلبًا ما زال في مقتبل نبضه، ضحية أخرى في هيئة شاب آخر لم يجد وظيفة ولا أموال ليدافع بهما عن حقوقه كآدمي.

وهكذا تستمر المعاناة، تلك هي الحقيقة العارية التي أخفيها عن الجميع، وما زالت تحيا بداخلي..

بداخلي فقط..

وما زلت أهرب من ذاكرتي بالنهار كثيرًا، وأتجنب حنيني إليكِ بالمساء أكثر، وكثيرًا ما يؤرقني شعوري بالذنب كل ليلة؛ حين أفكر بمن تحيا خالدة في قلبي وتسكن في مكان آخر!

ما زلت أتساءل، كيف من الممكن أن يستوطن الأغراب بقلبي، وقلبي هو وطنكِ الأبدي؟

تبًّا للشعور القاتل الذي ينتابُني بعد منتصف الليل وهو أني أمارس تهمة الخيانة دون قصد.

أعني "خيانة التفكير" هي مرهقة حقًّا.

لأنها ليست مقصورة على وقت محدد إثر نزوة عابرة؛ بل تلازمُنا آناء الليل وأطراف النهار..

تبًّا للعادات"الشرق أوسطية" التي تجعلُنا نحيا كل ليلة على قيد الموت!

❋ ❋ ❋

حفلٌ ساهر

القصة بدأت منذ تسلط العائلة وطلباتهم المُبالغ فيها، ثم ارتداء شبكة فخمة وتبادل هدايا ذات قيمة مادية عالية والتظاهر بالسعادة، والخروج في المناسبات العائلية وارتداء الأقنعة، فكل يُبرز أجمل ما فيه، ثم تأتي مرحلة شراء فستان زفاف أبيض باهظ الثمن، وبدلة أنيقة سوداء اللون لارتدائهما سويعات قليلة، وقاعة أفراح مُميَّزة، وحفلٌ ساهر مُمتد لمنتصف الليل وسط حشد غزير من المدعوين من الأقارب والأصدقاء.

ثم الانتقال لشقة شرط أن تكون في مكان مرموق بعيدًا عن بيت العائلة حسب اتفاقهم.

ثم تبدأ حياة أشبه بالموت البطيء.

حيث كل منهما غير مؤهل لتحمل مسؤولية الآخر، كلاهما اعتاد على عيشة البزخ والرفاهية.

يعيشان حياة مُجردة من الرحمة والسكينة، وخالية من الحب والاهتمام، وممزوجة بالتسلط والحِدة والقسوة، أو حياة روتينية كما قال هو نفسه، أو حياة قيد الموت كما وصفتها هي بذاتها، يُزيِّن كل منهما حياته أمام الآخرين بمشاعر وهمية؛ كي لا يكونا عُرضة لجلسات النساء، وأحاديث البعض التي لا تنتهي.

يخرجان في المناسبات رغمًا، يحاولان إخفاء حقيقة الأمر الذي وصلا إليه.

أنجبا طفلين أيضًا حسب رغبة العائلتين.

يعيشان معاناة نفسية.

أصبح الزوجان لا يستطيعان تحمل أعباء الحياة الجديدة التي فُرضت عليهما.

بيت ومسؤولية وأطفال.

ولأن الأساس كان هشًّا منذ البداية، يتمايل البيت شيئًا فشيئًا، يُصاب كل منهما بحالة من اللامبالاة، إلى أن تتحول الحياة بينهما إلى حرب أهلية

كل المحاولات التي تقوم بها العائلتين حفاظًا على مظهرهما العام للإصلاح بينهما تبوء بالفشل.

ثم تحول كل الطُرق التي يسيران بها لنهايات مسدودة..

هي تريد الطلاق ولم تعد تتحمل المزيد؟

هو يريد إنهاء تلك المهزلة أيضًا.

تتكرر تلك المأساة كلَّ يوم

إلى أن طفح الكيل..

والحل المُتبقي الذي يرضيهما معًا هو الطلاق.

ولأن المادة هي السمة السائدة بين كلا العائلتين، رفع كل منهما قضية ضد الآخر، فالزوج بمساندة محاميه الخاص الذي يلقنه بعض العبارات، مفادها أنه لا يريد الطلاق، بهدف أن تتنازل عن مستحقاتها وإن أرادت، فلترفع القضية المنتشرة في الآونة الأخيرة، قضية خُلع شرط أن تتنازل عن كافة حقوقها ومستحقاتها مقابل ذلك.

استمرت القضية في المحكمة مدة تتجاوز السنوات.

تشاجر كلٌّ منهما على من له الحق في ضم الأطفال إليه.

اتخذ كل منهما الأطفال كوسيلة ضغط نفسية على الآخر.

هو بدأ يبحث عن زوجة لتستقر أموره، بعدما انهارت حياته التي لم تبدأ بعد...

هي ظلَّت مُعلقة لتدفع الثمن من عُمرها سنوات ضاعت هباءً.

كان الزواج منذ البداية بعيدًا كل البُعد عن ضوابط الدين، مُجردًا من مثقال ذرةٍ من مودة.

الخطأ منذ بداية كان خطأ عائلتين.

عائلة لم تترك فرصة لابنها المشاركة في اختيار شريكة حياة وليس شريكة حفل ساهر، وعائلة لم تترك لابنتها فرصة اختيار شريك حياة وليس بنكًا متنقلًا..

عائلتان قاما ببناء عقار مُبهر المنظر من الخارج باستخدام أدوات بناء غير صالحة، فأصبح البناء بعد فترة وجيزة آيلًا للسقوط.

الزوجان أهملا بعضهما البعض، أو طرف أهمل الآخر، بالنهاية النتيجة واحدة، وبدلًا من أن يكملا حياتهما في جو من الرحمة والإنسانية وإنشاء أسرة مُستقرة وجيل سوي، أصبحا يقضيان وقتًا ليس بالقليل في إحدى المحاكم، لإنهاء حياة لم تبدأ بعد، متناسين أطفالهم البُرآء، ليتحول الأطفال إلى مجني عليهم.

يعيشان حياة مُشتتة ما بين أبٍ وأمٍّ كل منهما يتسابق من يكسب قضيته التي رفعها ضدَّ الآخر!

بدلًا من أن يضمَّهما بيت واحد مع أطفالهما، استدرجهما العِناد فورثهما القسوة، ونسيا ألا يقيما حدود الله.

فصارت حياتهُما في المحاكم، وأصبح الأطفال يعيشون حياة لا تختلف كثيرًا عن حياة الغير أسوياء في ظل ظروف عصيبة اختلقها الزوجان معًا واشتركت فيها العائلتان منذ الوهلة الأولى منذ بداية حفلهم الساهر، الذي انتهى بقضية، هي ليست قضية طلاق فقط؛ إذ أنه بانتهاء الحياة بين الأبوين، أصبحت كل الأحلام الوردية للأطفال ما هي إلَّا كابوس مرعب يُسمى الطلاق يظل يهدد حياتهم.

الزواج صداقة وسكينة ومودة وليس عقد بيع وشراء بالأجساد أو المشاعر..

❋ ❋ ❋

أحلام مُختلسة!

أنهكتهُ الحياة والظروف وهو ما زال طفلًا لا يتجاوز إلَّا سنوات قلائل، رأى ما لم يُدرك معناه وهو في سن صغيرة..

وكأنه أتى للحياة عنوة، وهو لا يعي أنها لا تمنح السعادة بالمجان للأشخاص حتى وإن كانوا أطفالًا!

كان ابنًا لأسرة مكونة من أربعة أبناء هو أكبرهم.. أسرة لا تملك حتى قوت يومها إلا بشق الأنفس.

لم تبلغ أحلامه عنان السماء كبقية الأطفال من نفس عُمره، هو لم يحلُم أن يذهب كل صباح في سيارة فاخرة لإحدى مدارس اللغات.. أو مثلًا للنزهة في نادٍ مُميز.

فقط كان حُلمه بسيطًا أن يعيش كطفلٍ ويحقق أحلامًا تراوده، وأن يمارس طقوس الأطفال كغيره..

هو طفولي الشكل، ملامحه بريئة، ولكنه بمثابة رجلٍ عاقلٍ، ورُغم أنه يبلغ عشرة أعوام.

لكنه نضج بعض الشيء، ويستطيع أن يزن بعض الأمور.

"النضج ليس بالعمر؛ بل بالتجارب "

وهو تجاربة أصبحت أضعاف أضعاف عُمرِه الحقيقي.

قد لا يُدرك من الجاني الحقيقي الذي سلب منه ومن أسرته الحياة؛ وجعلهم يعيشون كمن يلتقط أنفاسه الأخيرة تحت الأنقاض..

لم يعلم من الذي اختلس كل أحلامة عنوة، رُبما لو أمعن التركيز قليلًا لرآهم عبر شاشات التِلفاز وعبر القنوات الفضائية يتحدثون عن أعمال لم يقوموا بها على أرض الواقع.

يفصحون عن تبرعاتهم في إحدى البرامج التليفزيونية الرديئة، بغرض الشهرة ليس إلَّا..

- أحدهم يُدير برنامجًا للطهي.

- آخر يتبنى برنامجًا لاكتشاف المواهب الغنائية من الأطفال يتكلف ملايين الجُنيهات.

- آخر يتحدث عن إنجازاته التي لا تُثمن ولا تُغني من جوع.

- وآخرون يتسابقون لشراء أصوات الفقراء ببضع من الجنيهات، وصناديق بها وجبة غذائية.

لفترة زمنية مؤقتة حين ترشحهم لأحد المناصب بالدولة!

وآخرون هم ذاتهم من يُنادون بحقوق الطفل.. تاركين آلاف الأطفال في الشوارع، وأسفل الكباري، وبجوار السكك الحديدية.

وآخرون لديهم من الأموال ما يكفي لأن يكفل ثُلثي أطفال العالم، لكن تجردوا من كل معاني الإنسانية..

وبدلًا من أن يمنحوهم مأوى..

نعتونهم بأطفال الشوارع!

* * *

صباحًا استيقظ الطفل دون مُنبه، ودون أن توقظه أمه أو أبوه، عقله اعتاد أن يوقظه في السابعة صباحًا كل يوم..

إثر تجوله بأحد الشوارع يختلس نظرة من خلف الفتارين على محلات الأحذية والملابس الثمينة، وألعاب الأطفال الإلكترونية.

كانت كل أحلامه أن يكون طفلًا كبقية الأطفال لا أكثر، ثم سرعان ما يعود ليُنظف زجاج السيارات للمارة من الأثرياء وأبنائهم مقابل الحصول على جنيهات معدودة

استوقفه مشهد أب يبدو أنه من الأثرياء..

يقود سيارته الفخمة، وبجواره أحد أبنائه الصِغار، الابن تقريبًا في نفس عُمره ومعه لُعبة عبارة عن"قِطار كهرُبائي" يعمل بالريموت.

لوهلة قاده تفكيره الطفولي لأن يتخيل نفسه بالمشهد ذاته، يده تُنظف زجاج السيارة، بينما عينه البريئة على اللُعبة.

يحدِّث نفسه قائلًا :

لو أني أمتلك هذه اللعبة لامتلكت الدنيا وما فيها، أخذ يتفقد تفاصيل القِطار، وعقله يغوص في عالم لا ينتمي إليه، لكنه يتمنى لو لم يفِق منه أبدًا!

هو ما زال طفلًا لا يُدرك مفهوم القناعة..

دقائق معدودة وأفاق من حلمه وعاد لواقعه مفزوعًا على صوت الرجل وهو يصيح بِه قائلًا بنبرة حادة ونظرة قاسية:

- ألم تسمع تحذيري لك بالابتعاد عن السيارة؟! وأخذ يُثرثر، بكلمات غير مفهومة يعاقب بها طفل لا يتجاوز أعوامًا قلائل!

رد الطفل بكلمات بريئة مختلطة بدموع الذل والإهانة.

أعطاه الرجل بعض النقود وأسرع بسيارته بكل جبروت..

تاركًا الطفل يبكي وكان ما زال تحت تأثير حلمه المُختلس فعاد مسرعًا لينظف أكبر قدر من السيارات للحصول على نقود إضافية.. رُبما يستطيع بها أن يعود في المساء حاملًا لأسرته بضعًا من أرغفة الخُبز ليسُد جوع إخوته الأصغر منه عمرًا وفهمًا للواقع..

أجبرته قساوة الحمقى أن يتخلى عن طفولته، ونالت منه الحياة ولم ينل منها سوى الشقاء.

"مُجتمع بأسره اختلس أحلام طفل"

❋ ❋ ❋

لقاءٌ عابر

كان من ذلك النوع من الرجال، الذي يُطلق سراح من بيده من النساء اللواتي يُردن البقاء بجانبه، ويتعمَّد إهمالهن، يمارس طغيانه وجبروته عليهن خاصة من يضمن وجودهن، من اللواتي تخضعن لعواطفهن، فتزيده غرورًا على غروره.

إلى أن أتتهُ أنثى واحدة، فريدة، قلبت موازين حياته رأسًا على عَقِبْ، حاول جاهدًا أن يُلقي بها في شِباك كلماته المُزيَّفة ومشاعره الوهمية.

استمر في محاولاته التي اعتاد عليها إرضاءً لغروره ليس إلَّا.

باءت كل محاولاته معها بالفشل.. أما هي كانت اسمًا على مسماه "فريدة" كانت أقوى من أن تهزِمها كلمة، أو يهز ثباتها أغنية، أو يُنتقص من كـرامتها مثقال ذرة من حُب.

إذ كانت دائمًا تقول إن قلبها، ذاك القطعة التي لم تتجاوز الجرامات والتي هي بحجم قبضة اليد، لن يستطيع أن يضعُها تحت رحمته أبدًا.

هي أقوى من كل تلك العواطف المؤقتة، هي مزيج من كل شيء وضده.

هي عيون القلب.. ورجاحة العقل.

هي كلوحة مُعقدة لا يستطيع فهم تفاصيلها ولا قراءتها إلا عظيم، لذلك كان الصمت لُغتها الخاصة، ومعجمها الوجيز قلَّ من يفهمه.

تمتلك مهارة قراءة الآخرين، وتحليل شخصياتهم عن بُعد.

البعض ينعتها بالغرور لأنها تبدو مختلفة من الوهلة الأولى.

فيها غموض يسمو بشفافية الوضوح.

تُجيد قراءة ما بين الحروف.

فيلسوفة عن حق ولكنها أحيانًا تدَّعي الجهل عمدًا، لهدف قد لا يبدو معلومًا للجميع.

تُعانق أحلامها ولو كانت فوق السحاب!

شيَّدت حاجزًا بينها وبين كل من يمرُّ مرورًا عابرًا على حياتها، قيَّدت مشاعرها المؤقتة، بكل ما أوتيت من كبرياء أنثى، وعزة ملكة، نشأت في بيت يعي قيمة الفتيات ولا يبخث قدرهن.

الشموخ بالنسبة لها ليس تاجًا صُنِع من إحدى وأفخم المجوهرات وأبهظها ثمنًا كما هو سائد الآن؛ الشموخ في رأسها لا يُقدر بثمن.

* * *

حاول جاهدًا إثارتها ببعض المواقف التي طالما استخدمها في استدراج الأخريات غيرها.

ليتلقى منها أي ردة فعل كوسيلة لمنحه فرصة لاختلاق أي حوار بينهما.

هو اعتاد ألَّا يستسلم، مستخدمًا كلماته وعباراته المعتادة..

فما كان منها إلا أن تصمت دهرًا وحينما تنطق بإمكان حروفها أن تصيبه بالصمم..

إلا أن القدر رتب لهما لقاءً عابرًا، محض صدفة.

* * *

حدثها بنغمة فيها شيء من الكِبر عن مغامراته، محاولًا التحدث عمدًا عن كل اللواتي أعجبن به ووقعن في حبه، وكيف أن أكثرهن جميلات وفاتنات..

ابتسمت ساخرة. هو حتى في أوقات الجد يُبالغ في المزاح ليواري حقيقته..

لم تقاطع كلماته، تركته يستكمل مشهده الساخر للنهاية، وبدلًا من أن تصفق له، ألقت بغروره في الدرك الأسفل.

قالت بصوت خافت تبدو عليه الثقة: الكثيرات من النساء سيُحركنَ عينَيْكَ، بينما واحدة فقط بإمكانها أن تُحرك قلبك.

أسرها في نفسه ولم يُبدِ لها شيئًا من حقيقة أمره واعترافه أمام نفسه بأنها على صواب.

هي فقط منذ ذاك اللقاء من حركت قلبه!

هو يحب ذلك النوع الفريد من النساء، أصبح يهاب خسارتها، بقاؤها بالنسبة له حياة لم يسبق له أن عاش تفاصيلها بكل هذا الشغف، وكأنها كانت تتعمد تلقينه دروسًا على يدها.

- قال لها: فرصة سعيدة، أتمنى أن تتكرر كل يوم، وأعتقد أنكِ تتمنين ذلك أيضًا.

- قالت بعزة: أنا أمنياتي فوق السحاب، متى أردت شيئًا لا بد أن يكون عظيمًا، لا يحق لأحد أن يتمنى لي بدلًا منِّي!

لديها قناعة ألَّا أحد يستحق الفوز بها، ولا اقتحام قلبها إلا من هو أهلٌ لذلك.

وقع أسيرًا لها من الوهلة الأولى، وبدأ يتساءل كيف يوقعها به.

هي الوحيدة التي استطاعت ألا تقبل به.

هي أول من قالت له لا بكل حرية كالأميرات، وهو الذي اعتاد على خضوع الأخريات له رغبةً في كسب ودِّه، اليوم هو من يكسر قواعده لأجلها فقط.

* * *

فكر كيف يرتب لقاءً آخر أو وقتًا إضافيًّا، أو فرصة ثانية للحديث معها، هو لا ترضيه دقائق معدودات، هو بالأحرى يريد معها عمرًا كاملًا وليس لقاء عابرًا محض صدفة.

قال: بالمناسبة، أنا أتفق معكِ، امرأة واحدة بالفعل من حركت قلبي.. ما رأيكِ إن منحتِني كل يوم دقائق أستمع فيها لنصائحكِ الذهبية؟

قالت :لكَ عِندي نصيحة واحدة.

"من يُطارد عصفورين في نفس اللحظة.. يخسرهما معًا"

فكيف حال من يطارد سربًا من الطيور؟!

* * *

لديها من الذكاء ما يجعله يشعر أنه طالب يجلس أمام أحد العلماء وما زال لا يفقه من الأمر شيئًا.

لم ترد عليه بكلمات، هي تعي أنه يريد فتح مجالٍ للحوار، بل غلفت ردودها بالصمت القاهر.

قال لها مُستخدمًا حيلة جديدة: أظن أنني من اليوم لم يعد لديَّ الوقت لإهداره، أريد أن أجيد فنون القتال لأجلكِ، أريد البقاء طويلًا، لأقتني نصائح جديدة كل يوم.

كانت أقصى أمانيه أن يطول اللقاء، علَّها تبقى لأطول فترة ممكنة.

لكنها كانت تمتلك جبروت المسافة وتجيد كل طقوس الوداع في أي لحظة..

يبدو أن عقاب كل رجُل يستدرج قلوب الكثيرات من النساء محاولًا استغلال عواطفهنَّ حتى يقعن في حُبه، امرأة حديدية كهذه ستغير نظرته لذاته وللحياة..

كان لا يُبالي، ولا يهتم لأمر إحداهن، فينزفن بسكين قساوته، ويصبحن أسيرات قلوبهن وضحايا غروره، ويمُتْنَ وهن على قيد الحياة إثر حادث إهماله.

لا شك ذلك النوع عقابه امرأة واحدة، واحدة فقط، تمُر من خلاله، تفقده عقله وتصيبه بالجنون، وتُعيده إلى مسيرته الأولى..

تعيده طفلًا!

تُبكيه كلمة وداع، وتسعده نظرة لقاء منها.

المرأة الوحيدة التي اجتاحته، لم تبادله أي مشاعر، هي فقط جاءت محض صدفة لتقتص للأخريات، وتقيم عليه الحد.

وهو الذي اعتاد على الانتصار في كل حروبه على النساء، امراة واحدة أرغمتهُ للمرة الأولى في حياته أن يتذوق مرارة الهزيمة على يدها.

ولأن مصيره كان من صُنع يده، لن يجد من يقيم على قلبه مراسم الدفن والعزاء.

حتى أصبح شهيد قلب، إثر لقاء عابر.

❋ ❋ ❋

ضدَّ مجهول!

«ضد مجهول»

كانت تلك الكلمات هي أوَّل ما سطره في مذكراته بعدما قدم استقالته من الشرطة.

مع اختلال ميزان العدل يتفشى الفساد والظلم والاستبداد، كأن يقف أحدهم من أصحاب السلطات ومن ذوي الأموال الطائلة التي يختلسها من حقوق شعب بأكمله، ثم يدين لهم بفضله عليهم!

أو كأعينٍ لا تُبصر الحقائق، وقلوب مُجردة من الرحمة، وعقول حمقاء لا تُفكر إلا في خبائث الأمور، كان نتاج ذلك كله؛ أن اختل ميزان العدل.

وإنه لمن أخطر الأمور التي تُهدد مكانة وطن وسلامة أراضيه، ومستقبل مواطنيه.

أو وجود جذور لنبتة غير صالِحة للزراعة، وكأن تزرع الشوكة وتنتظر أن تُجني الفاكهة.

ما أثار الحرب داخله علامات استفهام عدَّة، رُبما لو أوجد لها أجوبة سيستريح من كل تلك الأحاسيس المشوَّشة.

عقله أنهكهُ التفكير، كانت الأسئلة تُثير اهتمامه، كان شغفه بمعرفة الحقيقة دافعًا قويًّا لأن يبحث ويكتشف الغموض الذي لم يسبق أن تعرض إليه منذ أن نال منصب ضابط بتلك البلدة..

كانت أول علامة استفهام دارت بذهنه..

ما السر الكامن والحقيقي جرَّاء ما حدث للمجني عليه؟

إنها قضية غريبة وشائكة، لم يسبق له أن يُقابل قضية مُعقدة كهذه، وكأنها جريمة مُكتملة الأركان، والجاني لم يترك أثرًا واحدًا يُستدل عليه من خلاله.. لم يبقَ له خيط أمل يتعلق به سوى..

"الهاتف المحمول الذي لم يتمكن من معرفة صاحبة، حيث أنه هاتف باهظ الثمن وجده على بُعد أمتار من موضع الجريمة، ومغلق بحماية سرية ببصمة اليد"

القضية هي القتل عمدًا، والأداة لا توجد في موضع الجريمة، يبدو أنها شيء حاد حسب تقرير الطب الشرعي، الإصابة في رأس المجني عليه، أما باقي جسده ليس به أي خدوش، ولا آثار لجروح سطحية، ولا أي علامات تدل على مقاومته للجاني!

الجثة مجهولة الهوية، ولم يُستدل على صاحبها!

مما آثار الدهشة أنه وجد مبلغًا من المال في جيبه.. أي إنه وبالأدق القتل لم يكن بهدف السرقة!

* * *

من الجاني؟

سؤال يحتاج لعمل تحريات في غاية الدقة.

عاد الضابط لعمله يستكمل بقية التحريات بعد أن تعمق في دراسة القضية مرة أخرى.

أمر بضبط وتفتيش كل السيارات التي مرت بالطريق موضع الجريمة ووقت ارتكابها تقريبًا، تم تفتيش كل السيارات عدا سيارة واحدة، كان يقودها شاب بسرعة هائلة، حتى أنه كَسر إشارة المرور، ولكن يبدو أن صاحبها غنيٌّ عن التعريف حتى يتثنى له الإطاحة بالواقفين جميعًا.

صمم ضابط الشرطة الذي يتولى القضية على ضبط وإحضار الشاب الذي استثنته شرطة المرور من التفتيش، تم ضبطه وإحضاره بطريقة تليق بمركز أبيه كما هو معتاد دومًا في بلدنا، تفرقة عنصرية في كل شيء، إنه ابن رجل مهم في الدولة..

كانت المُفاجأة أن الشاب هو الشخص ذاته صاحب الهاتف المحمول..

شاب يبلغ من العُمر أربعة وعشرين عامًا، لكنه لم يبلغ مثقال ذرة من رحمة، تربى على أن ما أراده كان وإن كان ضد العقيدة، أو خطأ، أو لايناسب العادات. لا يَهُم!

أفسدته كثرة الأموال والاتكال على منصب أبيه في كافة أمور حياته.

قام الضابط بحيلة ذكية ليتمكن من معرفة إن كان الهاتف المحمول خاصًّا بذاك الشاب أم لا.

نجحت حيلته، واعترف الشاب بلا مبالاة وهو تحت تأثير المخدرات التي يتعاطاها يوميًّا بجريمته التي ارتكبها بالتفصيل، حيث أنه دار حوار بينه وبين المجني عليه"شهيد الحق"، ولأن "الشاب" الجاني لن يتربى على احترام الرأي الآخر؛ واعتاد على ذلك، تشاجر معه وأخرج مسدسًا خاصًّا به، أهداه له والده ظنًّا منه أنَّه بذلك يُعلِّمه الرجولة!

اعترف أنه ضرب المجني عليه على رأسه عدة مرات، حتى قتله.

أمر ضابط الشرطة بحبسه.. ولكن!! هل يخفى الخبر؟!

في غضون دقائق معدودات بعدما هاتف أباه بعضًا من أصحاب السلطات، تم التستر على الشاب وإخراجه بكفالة.

وتم معاقبة الضابط بعد تهديده ثم نقله لمكان بعيد عقابًا على صحوة ضميره.

لكنه قرر أن يُقدم استقالته.

الأنقياء لا مكان لهم في هذه البلدة الظالم أهلُها.

❊ ❊ ❊

سيناريو مُحبك من أرض الواقع، المشاهد ذاتها تتكرر كل يوم، من يقوم بتمثيل الأدوار نُخبة من صاحبي النفوذ، ورجال الأعمال الأثرياء، وبدعم بعض من أصحاب السلطات في الدولة..

كم من قضايا حُكِمَ فيها ظُلمًا، وكم من أبرياءٍ داخل السجون، وكم من شُرفاء لن يضلوا طريق الحق فدفعوا مقابل ذلك أعمارهم، وكم من جُناة حقيقيين قُيِّدت جرائمهم ضدَّ مجهول!

❊ ❊ ❊

مُتمردة

صباحًا.. استيقظت على واقع مؤلم وعلى حقائق لم تحسب لها من قبل، وعلى خيبات أحدثت لها جُرحًا عميقًا في القلب، لم يخطر ببالها أن ذاك السهم من صوَّبه تجاه قلبها هو الشخص ذاته التي وهبته عُمرًا، وكانت تخشى عليه من مثقال ذرة من ألم.

لم تستوعب ما حدث، أصيبت بالدوار، وجدها شقيقها الأكبر ملقاة على الأرض.

قام برفق بوضع الماء على وجهها محاولًا إفاقتها، أغمتها تلك الصفعة التي تلقتها من الشخص التي أحبته وتحدت من أجله الجميع، أسرتها، وصديقاتها، وعاندت لأجله حديث عقلها.. والنتيجة أنه خان ما كان بينهما من عهود ووعود، وأحلام وردية نسجتها ذات ربيع!

لقد كان كابوسًا مرعبًا حقًّا.. أيقنت مؤخرًا أن كل التفاصيل التي حدثت منه تركت شرخًا في روحها، وتلك الصفعة القوية كانت بفعلته هو لا غيره.

"الحياة دومًا لا تمنح دروسًا بالمجان، كان لا بد من دفع الثمن"

وهي دفعتُه سنوات أفنتها بجواره كي يستطيع التحليق في سمائها، كي تحقق حُلمًا واحدًا جمعهما ذات يوم..

اعتذرت للجميع عمَّا بدر منها.

"كان يجب عليها أن تعتذر لذاتها"

استرجعت كافة التفاصيل عمدًا التي حدثت منذ الوهلة الأولى.

تذكرت كم كانت تمنح له الكثير مقابل أقل القليل!

كم أمطرت عليه حنانًا بحجم الكون!

لكن قلبه كان كالحجارة أو أشد قسوة!

حدَّثت قلبها بحدة، وعاملته بقسوة كي يفيق من غيبوبته..

طرحت عليه بعض علامات الاستفهام..

كيف لك أن تدفعني لأن ألقي بأحلامي وتجعلها موضع استهزاء من الجميع؟!

وكيف خسرت أقرب صديقاتها، فقط لأنها لم تتقبل منها النصيحة، حين أخبرتها أن ذاك الشخص مُزيف بكل تفاصيله؟!

كيف كانت تعتني بالزرع معه على مدار شهور عديدة، ووقت الحصاد؛ لم تحصل إلَّا على الشوك فقط..

بدأت تتساءل وهي في حيرةٍ من أمرها.

كيف لها أن تجني الشوك وهي من زرعت الورد بطريقِه!

وبأي حق وهبه جاهزًا لمن لا يُدركون شيئًا عن آلام الانتظار ومرارة الصبر!

حروب نشبت بداخلها، لم يكن معها سوىٰ سلاح الحب، كان تظنه سلاحًا قويًّا لكنه في الحقيقة كان سلاح دمار شامل لقلبها ليس إلَّا..

حاربت الجميع لأجله، كادت أن تخسرهم كي لا تخسره.

جلست أمامه في محكمة الحياة لكنه لم ينصفها.

واجهت الصعوبات بمفردها خوفًا على مستقبل كانت تبنيه لأجلهما معًا؛ هَربًا من جُرح الماضي ومن صفعات الحاضر..

أما هو فكان لا يبالي، اختار أن يحيا بعيدًا، وتركها في ساحة القتال مُتعمدًا، اختار البُعد بكامل إرادته..

لم يكتفِ بذلك، هو شخص قاسٍ بطبيعته.

قتلها بكلماته وهو بكامل قواه العقلية، حين قال أنه أستمر معها ليس حُبًّا؛ بل كان يشفق عليها!

لم يكن رجلًا معها..

سلب أحلامها عنوة..

بعد صراع استمر لمدة ليست بالقليلة استطاعت انتزاعه من قلبها.. استأصلته كما يُستأصل المرض الخبيث من الجسد.. ومنذ تلك اللحظة أصبح غريبًا بعدما كان الأقرب إليها!

* * *

عادت مجددًا، لتمارس أشياءها المفضلة..

هي فنانة، مُبدعة، تهتم بأدق التفاصيل.

بعد انقطاعها عنها الرسم لفترة عادت لتُزيح الغبار المتراكم على لوحاتها، وخصصت مكانًا ترسُم فيها لوحات أخرى..

عادت مجددًا، لتُبدع من جديد.

بدأت في تجهيز مجموعة من اللوحات الفنية، لتُشارك بها في معرض دولي خاص باسمها..

كم حلمت أن تشارك به!

كان من بين الرسومات، لوحة فنية يغلب على ألوانها طابع نفسي، أطلقت عليه الذات المتمردة، تُعبر عن الصراعات الداخلية بين الشخص وذاته.

تحوَّل الحلم لواقع.

لم يتبقَ على افتتاح معرضها سوى يوم واحد.

عندما عَلم بأنها ستشارك هذا العام في معرض منفرد بلوحات فنية من إبداعها، قرر بكل أنانية وغرور الذهاب لهناك، فهو يهوى أجواء الشهرة، والظهور في الأماكن العامة.

صباحًا هاتفها ظن أنها ستطير فرحًا من هول المفاجأة حين سماع صوته..

لم يعلم أنها في اللحظة نفسها لم تعد تتشبثُ به كالسابق، لم تهتم من الذي يهاتفها الآن؛ هي فقط تتخيل أجواء المعرض، وانبهار الجميع به.

ذهب إليها وكله يقين أنها ستسعد بلقائه هناك..

توقع أنها ستقدمه للحاضرين بأنه رفيق دربها..

وصل على الحفل كالغُرباء!

رأته قادمًا.. لم تتحرك خُطوة واحدة تجاهه

كانت تلك المحاولة الوحيدة التي كسر عِناده فيها وذهب إليها..

قال لها :أعلم يقينًا أنكِ ما زلتِ تترقبين عودتي.. وها أنا الآن، عُدت من جديد، فلنواصل ما قطعناه.

قاطعته متحدثة بنبرة تبدو عليها القوة:

- هل تعتقد أنه يحق للأشخاص العودة لحياتي من جديد بعدما أصبحوا غُرباء عن قلبي؟

قال: وهل أنا كالغرباء؟!

ردت بصلابة وقوة: لقد استُشهد حبي لكَ يوم انسحابك من ساحة المعركة، والآن لم تعد الحرب تُغريني!

قال: قُلتِ لي من قبل إن من يحب يغفر..

ردت متبسمة :قلتُ يغفر، ولم أقُل يدُس كرامته، ولو أنك أتيتني جاثيًا، لما تحرك من قلبي مثقال ذرة من حب لك.

سأخبركَ سِرًّا، وأظن أنك ستتفاجأ.. أنا لم أكن ساذجة لتلك الدرجة كما تعتقد.. الحقيقة أنك كُنت تجيد فنون التمثيل ولديك القدرة على تقمُّص كافة الشخصيات، كنت تُدير المشهد وتتفنن في إتقان الأحداث المُشوِّقة، تضع النهايات كما تريدها، واليوم أتيت ليس لتشاركني نجاحي، أنت أتيت لحاجة ما في نفسك، وجهك يفصح عن كل شيء مما بداخلك، لكن القصة لم تكتمل بعد..

إثر حديثهما، كان أحد الحاضرين يُبدي انبهاره بإبداعاتها، متجهًا نحوها كي يُبدي لها إعجابه بلوحتها الفريدة، قال أنا أتوقع منكِ المزيد من الإبداع، أظن أن تلك اللوحة ستكون إضافة جديدة للفنون التشكيلية، وأكثر شُهرة من لوحة "الموناليزا.

أتى الشخص ذاته متجهًا نحوها للمرة الثانية..

تجاهلته تمامًا..

تركته ولم تقل له سلامًا..

وصعدت على المنصة لتُلقي كلمة عن لوحتها التي حازت على إعجاب الجميع..

ألقى عليها أحد الحاضرين سؤالًا..

حدثينا عن سبب نجاح لوحتك التي أبهرت الجميع، رُغم أنَّها المرة الأولى التي تشاركين بها في معرض دولي!

ردت بثقة:

- آمنت أنه من رحم المعاناة تولد الانتصارات.

لوهلة وعن عمد اتجهت نحو الشخص ذاته بعينيها وحدثته:

- الآن لمحت في عينيكَ الهزيمة المُطلقة.. أما أنا قد حالفني الانتصار في أول معركة دارت بين القلب والعقل، وحاربتُك فيها بسلاح الكرامة.

ساذج من قال ألَّا كرامة في الحب.

الحب تاجُه الكرامة.

فلكل منا طريقته في العشق.

وإن اختلفت الطرق فالقلب واحد.

ولكي نحيا لا بد من قتل بعض الأشياء فينا.

ولكي نربح أنفسنا لا بد من خسارة البعض حتى لو كانوا جزءًا منَّا..

رُفعت الجلسة

أربعة أحرف فقط بإمكانها أن تُحوِّل حياة الفتاة إلى جحيم، وتُغلق في وجهها كل أبواب الأحلام والأمنيات، وتتبدل الطموحات التي طالما جلست كثيرًا لتُرتب لها مذ كانت طفلة تحمل دميتها بلطف وتداعبها ببراءة كأمٍ حنون.

كلمة واحدة تُصيبها بالإحباط، وتلقي بها في الدرك الأسفل من الفرص كما يعتقد البعض، يقولون فاتها القطار، أي قطار يتحدثون عنه وإلى أي مكان تتجه رحلته؟

ومن أين تلك المصطلحات والمعتقدات الخاطئة، التي انتشرت في الآونة الأخيرة وبكثرة؟ وكأننا في العصر الجاهلي! رغم انتشار الإنترنت والتكنولوجيات الحديثة!

قديمًا كان وأد الفتيات الصغيرات منذ ولادتهن عادة جاهلية حسب معتقداتهم الخاطئة، والآن بعد انتشار مسلمين بلا إسلام؛ أعتقد

أن الأمر لا يختلف كثيرًا، اختلفت طريقة القتل فقط، والأداة التي تُستخدم لذلك، يقتلونها وهي زهرة في ريعان شبابها، قتلًا من نوع حديث، وما زال الكثير -إلا من رحِم- يمارسون سُلطتهم في قتل الفتيات، قتلًا برصاصِ كلماتهم المُميتة وعقولهم الخاوية وتفكيرهم العقيم، نسوا أو رُبما تناسوا أن الكلمة قد تُحطِّم، وقد تقتل فينا كل جميل، وفي أحايين أخرى تكون جسرًا نعبر به نحو النجاح وتحقيق الذات..

❊ ❊ ❊

في إحدى قرى الصعيد وفي أسرة مُشتتة وُلدت طفلة مجني عليها من أبٍّ تركها ووالدتها التي خضعت لكل أنواع الظلم النفسي من أهل قرروا زواجها دون مراعاة مشاعرها، كانت حُجتهم الوحيدة هي "نخاف أن يمَر بكِ العمر سهوًا، وتُصبحين "عانِسًا" فما كان لها إلا أن استسلمت للأمر الواقع وهي لم تتجاوز الأربعة عشر عامًا فقط، تزوجت بالإكراه، ومر عام على زواجها، عام واحد فقط عاشت فيه معاناة ومأساة، وتلقت أقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، ثم حال الزواج بالطلاق بعد صراعات، وطفلة ضحية سمتها "أمل"،

اصطحبتها لبيت أهلها بعد طلاقها، واجهت النقد المؤلم من أفراد أسرتها، ومن قريتها الصغيرة، رُغم أنهم من جنوا عليها، كانت تهرب من نظرات الجميع، ولا تتمكن من الذهاب لمكان، أصبحت كشخص يختلس صورة لضوء القمر في ظُلمات الليل!

انتهت مأساة الزواج بالطلاق، ومأساة الطلاق بمأساة أخرى..

خشيت على طفلتها وقررت أن تأخذها وترحل من وسط ذاك المجتمع الذي لا يعرف عن الرحمة إلا أقل القليل، مجتمع لا يرحم الأنثى كونها ضعيفة كما يدعون ادعاء باطلًا، وأشباه رجال لا يُجيدون إلا تصرفات الحمقى!

كانت الطفلة لأمها بمثابة الصديقة الصغيرة، كان كل أملها في الحياة أن يكون لطفلتها حظ أفضل من حظها، كانت تقُص عليها المأساة التي عاشتها، والناتجة من تفكير المجتمع، وكيف أنها استسلمت لعادات موروثة منذ العصور القديمة ليس لها أساس من الصحة، وكيف لكلمة واحدة تُغير مجرى حياة الأشخاص، كانت تقصد الكلمة ذاتها "عانِس" وكيف خضعت لذلك كله، وتركت دراستها رُغمًا عنها، وتخلت عن

أحلامها التي اختلسها والداها وأسرتها رغمًا، وزوجوها في سن صغيرة دون مراعاة براءتها.

وكأنها كانت تريد أن تُرسخ بعقل طفلتها قاعدة هامة، تقول فيها:

"لا يوجد امرأة عانس؛ بل هي إن صح التعبير، أنثى لم يُقدر لها الزواج، لأسباب لا شك جعلها الله في صالحها، وأن ثمة أشخاص مجردون من كل معاني الإنسانية، قد تنازلوا عن عقولهم، وتصرفوا كالمجرمين، ليقضوا على كل ما هو جميل وبريء وذو قيمة.

كانت الأم تروي لطفلتها كل تلك الأحلام التي لم تُخبر بها أحدًا قط، والتي لطالما حلمت بها ولكنها لم تُحققها، كان من ضمن أحلامها أن يكون لديها مكتب محاماة، كم كانت تحلُم بوقوفها في المحكمة، ولكن ماحدث لها أجبرها على خوض تجربة قاسية في سن صغيرة..

صمدت الأم وكافحت، تعلمت الحياكة، وفتحت مشغلًا للملابس، وكان أول ما نسجت بيدها روبًا كُحلي اللون وبه كاراثات بيضاء،

وغلفته في عُلبة جميلة ووضعته بدولابها الخاص في جانب مغلق بجوار مستلزماتها الهامة، نجح مشروعها الصغير، وأثبتت أنها قوية ولا يُنقص من قدرها شيء، زرعت في عقل طفلتُها الإرادة والطموح، وصبرت لسنوات طِوال حتى حصدت ما زرعته..

مرت السنون سريعًا وتخرجت الطفلة من كلية الحقوق بتقدير عام امتياز، واختيرت مُدرسًا مساعدًا بالكلية، وأصبح لها مكتب محاماة خاصًّا بها، لتستقبل فيه أولى قضاياها، قضية طلاق لم تكن فريدة من نوعها، بل تشبه قضية والدتها وآلاف القضايا الأخرى، وكأن السنوات تُعيد نفس الأحداث من جديد في صورة ضحايا آخرين، كانت القضية لضحية "فتاة" لم تتجاوز الخمسة عشر عامًا، تزوجت وهي لا تدري من الأمر شيئًا، القصة تقريبًا متشابهة إلى حد كبير من قصة والدتها..

درست القضية وبكل ثقة وشغف للجلوس في قاعة المحكمة اصطحبت والدتها للمحكمة في أول مرافعة لها، وكأنها تهديها نجاحها الساحق.

فهي تعي أنها تستحق وأكثر..

ارتدت روب المحاماة، من صنع يد والدتها الغالية والتي أهدتها إياه في عامها الجامعي الأول..

وقفت شامخة بقاعة المحكمة، بدأت الجلسة والصمت ساد أرجاء القاعة، وقبل بدء المرافعة، التفتت للفتيات الحاضرات مع موكلتها من أقربائها وصديقاتها، موجهة رسالة إليهُن قائلة بابتسامة مختلطة بدموع الانتصار ليس إلَّا:

"ما زال يحتويني الأمل، فما كان اسمي "أمل" محض صُدفة، سمتني إياه أمي المعطاءة، وكأنها تنبأت لي أن أكون اسمًا على مُسماه الحقيقي.

إليكُن أيتها الحائرات، تحررنَ من اليأس وارفعنَ راية الانتصار وسط جموع المُحبطين، ما زال بإمكانكُن تحقيق الكثير من الأحلام، الحياة ليست رجلًا إن لم تجتمع فيه جميع الصفات التي تؤهله لذلك.. والرجولة ليست لقبًا في بطاقة شخصية لذكر بلغ سن الرشد، والزواج لم يكن ناجحًا إلَّا إن كان محاطًا بإطار الاهتمام والتفاهم، وممزوجًا بأسمى معاني الحب وأنبلها..

جلست أمل أمام محكمة العادات والتقاليد وبدَّلت الأدوار من جانية في نظرهم إلى مجني عليها ومحامية في الوقت ذاته، لم تدرس في كلية الحقوق فقط بل درست وتعلمت في مدرسة الحياة..

عادت للوقوف أمام القاضي، ونظرت بسخرية تجاه الجانب الأيسر من المحكمة لزوج موكلتها وجميع الحاضرين معه، ثم استمدت قوتها وتنفست الصعداء وقامت بالدفاع عن موكلتها في قضية سادت في المجتمع والتي تُعد من أهم القضايا السائدة وأكثرها ظُلمًا وطغيانًا على الفتاة حيث قالت:

إن القضية الماثلة أمامكم، كانت في الأصل زواجًا بالإكراه مع سبق الجهل، وتحت تهديد مصطلح العنوسة....

وأتمت مرافعتها قائلة:

أيها السادة الاستغلاليون والمُحبطون من عقليات المجتمع الخاوي من العدل، والمُجرد من كل أنواع المشاعر والرحمة، ومن كل معاني الإنسانية، لكم تحية جميعًا مني، رغم أنكم الجاني الحقيقي لكن تعلمت أن أحترم الرأي الآخر حتى وإن كنا مختلفين، لكني أيها القضاء المجتمعي الغير عادل وكلت نفسي نيابةً عن كل اللواتي يعشن معاناة

تفكيركم العقيم، وحكمكم الظالم عليهن، ولن أطيل عليكم أقول وبِاختصار شديد.. نيابة عن كل فتيات المجتمع..

وتحدثت بلسان قلوبهن وقالت: إن زواج موكلتي باطل، ومعي كافة الأدلة التي تُثبت صحة أقوالي، والتي هي ليست من وحي مرافعتي، ولا مجرد كلمات أثرثر بها في قاعة المحكمة، أو لأنني أستخدم الذكاء في السرد بطريقة شيقة لكسب القضية، ولكنها أدلة من كتاب الله، إذ أنه من شروط الزواج التي ذكرها الله في كتابه:

"**السكن والمودة** والرحمة"

وموكلتي حياتها مُجردة من ذلك تمامًا، إضافة إلى أنها تزوجت وهي "قاصر" لم تبلغ السن القانوني للزواج إلى الآن، وبناء عليه، فإني أطالب بتحقيق أقصى العقوبة على الوصي عليها، كما أطالب أيضًا بتطبيق أقصى العقوبة على المأذون الغير شرعي الذي أتم مراسم الزواج، حيث قام بالتزوير في أوراق رسمية من أجل حفنة زائدة من الأموال أعطاها والد موكلتي له، كما تعرضت موكلتي للأضرار الجسدية والنفسية الجسيمة من زوجها الغير مؤهل ليكون رب أسرة..

ولا بد أن يحاسب على ذلك..

موكلتي لا تطلب سوى الحُرية..

ولا يحق لأحد أن يرسم لها خارطة طريق دون مراعاة مشاعرها وآدميتها، ما تفعله سيأخذ من عمرها وليس من أعماركُم، ولا أحد في هذه الحياة له الحق بمحاسبتها على شيء دفعت فيه كل هذا الثمن..

القضية واضحة وضوح الشمس أمامكم، لكنكم لا ترون إلا بعقولهم الفارغة.

لذا أرجو إعادة النظر في القضية مرةً أخرى، كي تنقذوا بقية الفتيات اللواتي ما زلن يتعرضن لجهل وتسلط الأهل والمجتمع، لا تكونوا سببًا في هدم نصف المجتمع بل المجتمع بأكمله.

ثم في نهاية المرافعة قالت:

وأنا أطعن بالتزوير في كافة الأدلة المزورة التي تقدموها من خلال كلمة "عانِس" لما لها من أضرار نفسية جسيمة تُهدد حياة مجتمع بأسره..

"رُفعت الجلسة"

❋ ❋ ❋

نبذة عن الكاتبة

حنان السيد عبد العاطي.

من مواليد محافظة البحيرة.

درست في كلية التربية، شعبة طفولة مبكرة.

اشتركت في أربع أعمال مع مجموعة من المواهب الشابة على مدار أربع سنوات متتالية.

- من أول الحلم.
- زمن النساء.
- سقط القناع.
- شغف الحروف.

تهوى القراءة، وتُدمن الكتابة، وتعشق الأطفال..

❋ ❋ ❋

الفهرس

مقدمة..... 5

الإهداء..... 7

الحقيقة العارية..... 11

حفلٌ ساهر..... 21

أحلام مُختلسة!..... 27

لقاءٌ عابر..... 32

ضدَّ مجهول!..... 39

مُتمردة..... 45

رُفعت الجلسة..... 55

نبذة عن الكاتبة..... 64

❋ ❋ ❋

للتواصل مع الكاتبة

فيس بوك

www.facebook.com/hanan.elsayed.908347

❋ ❋ ❋